الأحد ١٣ من ذي القعدة ١٤٣٨ هـ. الموافق ٦ من أغسطس ٢٠١٧م | صاحب الامتياز المدير العام رئيس التحرير: محمد بن سليمان الطائي | www.alwatan.com | SUNDAY 6 August 2017

الصورة بعدسة اليقظان الناصري

المحرر

مبتدأ

في الذكرى الثانية لرحيلة يحتفي «أشرعة» في عدده اليوم بالناقد والشاعر الراحل حمد الخروصي في موضوع يحمل عنوان «ما زال حيا، يتنفس الشعر ..» ويوافق رحيل الشاعر «الخروصي» في مثل هذا اليوم السادس من أغسطس حيث رحل عنا في عام ٢٠١٥م إثر نوبة قلبية مفاجئة تعرض لها وهو في رحلته السياحية في سويسرا. حيث يعد الشاعر الراحل أحد أعمدة ساحة الشعر الشعبي في السلطنة ودول الخليج، ويعد أحد أهم النقاد والباحثين في مجال الشعر الشعبي في السلطنة.

كما يحتفي الكاتب حسن الهنائي في هذا العدد بتجليات الأنا» في ديوان مكتفيًا بالليل لـ «حسن المطروشي» حيث يشير إلى ان الشاعر الذي دخل في ليل العمر كما يرى نفسه وإن كنت أراه ويراه كل من يعرفه بأنه ما زال في ربيع العمر. يكون بين يبك الشاعر في طفولته بكل مراحلها وتجلياتها البريئة ثم الشاب اليافع الشقي المليء بالأحلام والطموحات والخيبات المسافر إلى البعيد ثم الزوج فالأب ثم الكهل وعلاقة كل هذا بالقرية والبحر والبيت والعائلة والأغنيات.

وكي تلج إلى الديوان عليك المرور بثلاثة أبواب: الباب الواسع والباب الأوسط والباب الصغير. فباب الديوان الواسع وهو العنوان (مكتفيًا بالليل) تقرأ العنوان فتكون قد ثبّت قدمًا فيه خاصةً وأن مفتاح الباب مفتاح لمن يعرف حسن المطروشي شخصيا ومن لا يعرفه. وأما الباب الثاني الذي عليك تخطيه فله ثلاثة مصاريع تطل بك إلى الأمام تسهل عليك المضي قدمًا. فالمصراع الأول هو «نايات اليقظة» والثاني «سنابل الأرق» والثالث «أقفال العتمة». ما عليك إلا قراءة الملاحظة المكتوبة فوق الباب حتى يكون الديوان منك وفيك. عند تنقلك بين أروقة القصائد داخل الديوان تحيلك عنواناتها إلى مضامينها والتي بدورها تحيلك إلى الباب الواسع فالباب الأوسط فالديوان.

فأنت في الديوان بين أروقةٍ تتأرجح بين الشكل والمضمونً ين القصيدة وعنوانها والديوان وعنوانه والعنوانات ودلالاتها دون تكلف ولا تعب تمشي وبيدك كل الأدوات والمفاتيح الموصلة إلى المعاني لأن الشاعر قد شيد بنيانه بعناية واضعا تصورا لما سيؤول إليه سيناريو العمل في الجزء الأخير منه.

اما حوار العدد في هذا الأسبوع فيستعرض تجربة الشاعرة والروائية ريتا عودة التي تعتقد ان انها واللغة العربية وُلدت من ذاتِ الرحم، مما يفسر شغفها بها. وتضيفَ في حوار مع « أشرعة» ان: أجمل ما في كتابة القصيدة هو إمكانية التجديد اللغوي المستمر. وولدت ريتا عودة الشاعرة والقاصة في الناصرة (١٩٦٠) . حاصلة على شهادة اللقب الأول في اللغة الانجليزية والأدب المقارن من جامعة حيفا (١٩٨٤). فازت بالمرتبة الأولى في مسابقة لكتابة قصيدة «الهايكو» و«الهيجا» على مستوى العالم. اهم اصداراتها: ثورة على الصمت، ومرايا الوهم، وغجرية عاشقة ، ومن لا يعرف ريتا ، وقبل الاختناق بدمعة، وسأحاولك مرة أخرى، وأنا جنونك (مجموعةَ قصصية). ولها عدد من المجموعات الإلكترونية: بنفسجُ الغربَة (رواية قصيرة)، وطوبى للغرباء (رواية قصيرة) ، وسيمفونية العودة (رواية)، تُرجم عدد من نصوصها إلى العبرية والفرنسية والفارسية والألمانية والايطالية والصينية .

اما الكاتب جمال النوفلي فيواصل بعرضه الشيق رحلته إلى اليونان بعنوان «تعالوا نحضر عرسا في اليونان» حيث يقدم «النوفلي» التفاصيل الدقيقة للرحلة عبر أهم المحطات التي زارها حيث يقدم في هذا العدد اليوم الثاني للرحلة وقصة الشجار الذي دار بينه وبين رفيقه في الرحلة إضافة إلى الزيارات التي قاما بها برفقة الأصدقاء في اليونان .. فإلى أين سيصل بنا جمال النوفلي في رحلته هذه ؟

للتواصل
ashreaa@hotmail.com

نحضر عرسا في اليونان 3
في مهب الشعر 5
ما زال حيا ، يتنفس الشعر 7
العمارة العربية المعاصرة 8

«وحدهم الذين يجازفون في الوصول إلى الأبعد يكتشفون إلى أي مدى قد يصلون»
إيليوت

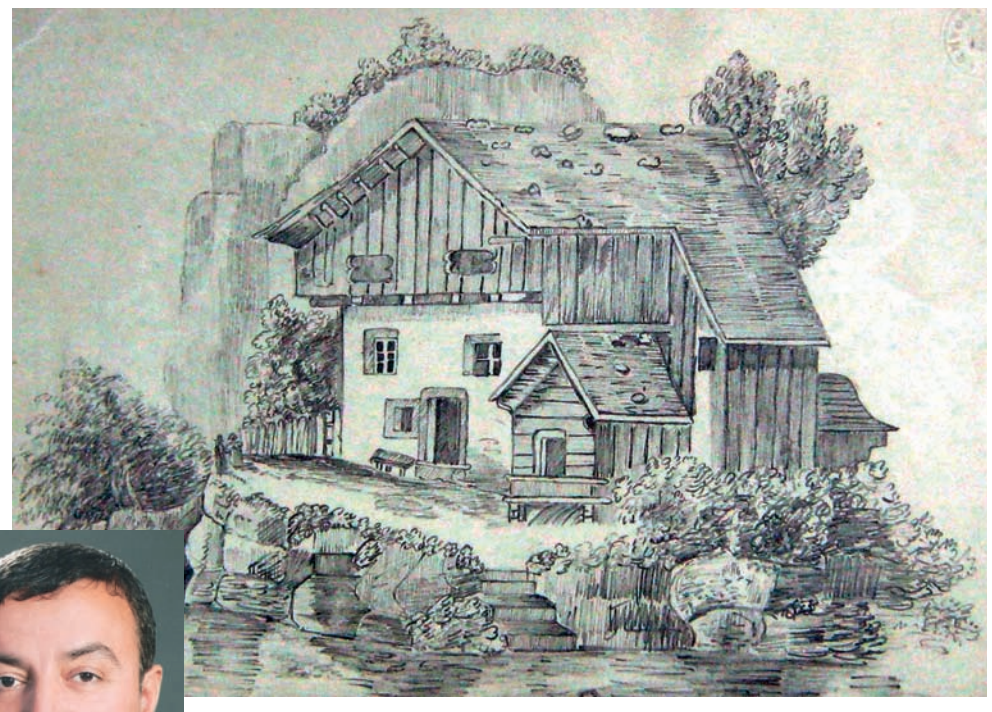

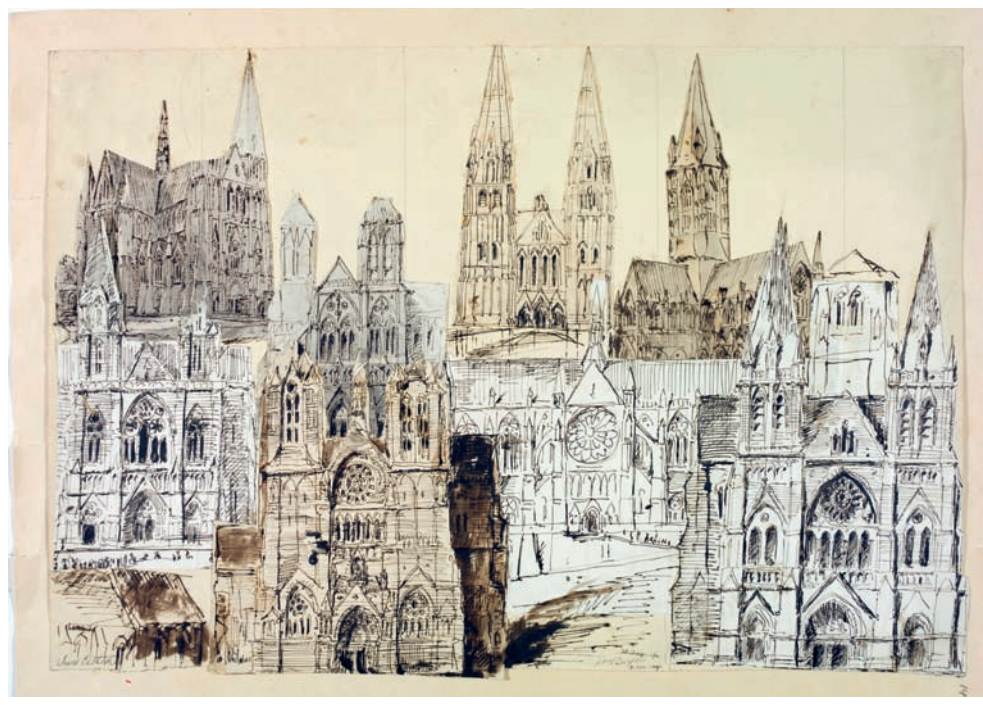

د. وليد احمد السيد

واقع العمارة العربية المعاصرة ٢-٢

حقيقة الغزو الثقافي باتت العولمة تتهم بأنها الوعاء الناقل له. فالعولمة والتمازج الثقافي والحضاري والتبادلات التجارية والهجرات الطوعية والقسرية والتوطين والإستيطان أصبحت في القرن الذي نعيشه أضعاف ما كانت عليه قبل قرون. فالتطور العلمي والتكنولوجي ووسائل الاتصالات التي قربت الحدود والمسافات جعلت الهوية الحضارية المحلية والإقليمية مهددة بشكل غير مسبوق.

وحالة الاغتراب الثقافي التي تعيشها العمارة العربية المعاصرة لا تقتصر على عوامل العولمة، فهناك عامل الإنبهار الثقافي بكل ما هو غربي في مقابل النظرة الناقدة لكل ما هو تراثي. وفضلا عن ذلك هناك عوامل التغيير السياسية والديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية. لكن هذه التغيرات التي تشهدها الكثير من الدول العربية تظل محلا للتأمل العميق والقراءة المتأنية لعوامل حركيتها ومحركاتها، والتي غالبا ما تدفعها باتجاه الحداثة على حساب الأسس والخلفيات التاريخية والتقليدية التي أسست لها على مدى عقود من تاريخ تكوينها.

وثمة عامل في تشكيل وتبلور الحركات المعمارية والنظرة للعمارة في العالم العربي يتمثل في التبعية الفكرية والهوياتية للغرب. ولعله لا يكون من قبيل المبالغة إذا قلنا أن هذا العامل هو المحرك والباعث لنشأة العمارة العربية المعاصرة بشكل أو بآخر. فمن خلال مجموعة من الخبرات العملية تبلورت القناعة بما يسمى «عقدة الغرب» والتي يعاني منها وطننا العربي الكبير عموما. وقد يناقش البعض بتطور الغرب في مقابل الشرق وأن يستشهد بالنظام الغربي الذي لا يضاهيه نظام عربي في الإدارة و«البزنس» والإلتزام بالوقت والمواعيد، إلى غير ذلك. وهذا صحيح بيد انه لا ينبغي ان يرقى لقبول كل مظاهر الحداثة على إطلاقها في مقابل النظرة غير الموضوعية او المتحيزة ضد ما هو موروث أو أصيل في المجتمع وعاداته وسلوكياته وتقاليده.

واقع النقد المعماري العربي والنشر العمراني

يمتاز النقد المعماري في الساحة العربية بخلوه من منهجيات وأسس واضحة تستند لنظريات رصينة. وبدلا من ذلك تسود النزعة «الشخصية» والتحليل غير الموضوعي المستند لمعايير لا منهجية. وتتجسد هذه الظواهر بشكل فاضح في «إشكالية» التحكيم العربي المعماري الذي طالما أجهض أعمالا إبداعية في مهدها وأسهم في بروز الأعمال التجارية التي لا تسمها معالم عمرانية رصينة أو ذات ملامح هوياتية تعبر عن أصالة المجتمع أو جينات الثقافة والحضارة العربية بل تنتمي إلى أطروحات التغريب الثقافي. وتتجسد إشكالية النقد المعماري وغياب الحركة الفكرية الجادة في الوسط المعماري في غياب الكتابة المنظمة والمنهجية وتقاعس المعماريين العرب عن الإنخراط الجاد في الكتابة الموضوعية والتأليف والذي كان بسبب النزوع نحو الممارسة العملية سعيا وراء المردود المادي والمكانة الإجتماعية بشكل يخلو أحيانا من المضمون. وبالنتيجة فقد انعكس ذلك على البحث العلمي وعلى ندرة الطروحات الفكرية الجادة التي تعين الباحثين سواء كأكاديميين أو كطلاب على مقاعد الدراسة في دفع عجلة الفكر والتفكير في طروحات وإشكاليات العمارة العربية المعاصرة من جهة، ومن جهة أخرى بات الخطاب المعماري الفاعل غائبا عن ساحة الفكر العربي المعاصر. وبالمحصلة أدى ذلك إلى تهميش عدد لا يستهان به من المعماريين العرب الذي يعيشون بعيدا عن دائرة المعرفة والتعريف، وغياب الخطاب المعماري العربي الفاعل في ساحة الفكر والثقافة الأوسع حيث تغلب على الساحة المعمارية العربية أسماء قليلة لامعة فيما يعيش الكثير من المعماريين خارج دائرة المعرفة والضوء. فلا نكاد نتبين معماريا لامعا في بعض الدول العربية مما يطرح التساؤل عن وجودهم أو غياب الوسائط الفكرية التي تعرّف بهم على المستوى الإقليمي العربي والعالمي. غياب معظم معماريي العالم العربي عن ساحة الفكر والكتابة هي مشكلة أساسية في الثقافة العربية المعمارية، حيث تسود هوة سحيقة بين النظرية والتطبيق، فالمعماري المصمم الذي لا يشحذ ذهنه بالكتابة وتقديم أطروحات في الفكر النظري يعيش مبهما في دائرة محلية لا يعرفه إلا القليل.

جانب آخر من المشكلة يتمثل في «فصام» أزلي أبدي بين النظرية والتطبيق في العالم العربي – فالمعماري المصمم ينأى عن الكتابة والبحث والأكاديمي وقلّما تكون له إسهامات تطبيقية في المجال العمراني. جزء مهم آخر للمشكلة سببه غياب «حوافز» و«منابر» الكتابة والبحث العلمي الرصين أو ندرتها – كل ما هنالك معاهد وجامعات تمارس آليات روتينية في نقل المعرفة من الأستاذ للطالب بطرق تقليدية تلقينية. وقد انتقد المفكر العربي الجزائري محمد أركون المعماريين في أحدى ندوات الأغاخان بالإشارة إلى حقيقة مهمة وهي أنه فيما يعمد المفكرون والفلاسفة في كافة مناحي الثقافة والأدب إلى التعبير عن أفكارهم ونظرياتهم باستعمال «الكلمة» والبيان والفصيح، يلوذ غالبية المعماريين إلى «الاسكتشات» المعمارية والرسومات حيث يصعب عليهم التعبير عن أفكارهم بفصاحة وبلاغة بالكلمات أسوة ببقية المفكرين والمثقفين، وهو قد يكون السبب الرئيس لغياب العمارة كنظرية من ساحة الفكر والثقافة العربية. سبب هذه المشكلة هي التعليم المعماري في الجامعات والذي يغرس في عقول الطلبة أن العمارة تتمثل بشكل كبير في التعبير المعماري الهندسي فقط إذ تأخذ مادة التصميم المعماري نصيب الأسد مقابل سوء تدريس مادتي نظرية العمارة وتاريخها مع غياب الكتابة الأكاديمية بحيث ينسى الطالب خلال خمس سنوات من دراسته للعمارة ما هي الكتابة، ليكتشف الطالب الذي يعتزم إكمال الماجستير أو الدكتوراة، متأخرا بعد سنين طويلة، أن آخر مقال كتبه كان بالمدرسة في مرحلة الثانوية العامة. ناهيك عن أن دراسة العمارة قد سببت له نسيان قواعد اللغة العربية فيقوم بنصب الفاعل ورفع المفعول به، وقد ينسى البعض تماما أن هناك شيئا إسمه «المفعول معه ولأجله» أو ما هو نائب الفاعل أو «المجاز المرسل ما علاقته السببية أو على اعتبار ما سيكون» أو ما يعنيه « اشتغال المحل بحركة المناسبة» في قواعد اللغة العربية وغيره. وحين يحدث ذلك تصبح الكتابة مقتصرة لدى هذا المعماري على كتابة الرسائل القصيرة «بالبريد الإلكتروني» أو رسائل الهاتف الجوال. جانب آخر من المشكلة يتمثل في أن القلة القليلة ممن أكمل تعليمه العالي من المعماريين تمارس الكتابة باللغات الأجنبية أولا، إذ أن في ذلك وسيلة أسرع للتقييم والتقدير العالمي. ولذلك ففي غياب القدرة أو الرغبة للكتابة باللغة العربية تتحول معظم الجهود الى المكتبة الغربية المتخمة بالدراسات الشرقية من باحثين شرقيين وغربيين على حد سواء».

من اللافت ومما يدعو للغرابة ان تجد من يفخر بالقدرة على الكتابة باللغة الإنجليزية فيما لا يشعر بالخجل مطلقا أنه لا يمكنه الكتابة بطلاقة باستعمال لغته الأم اللغة العربية الفصحى، ولم يكترث إذ هو يمارس العمارة كمهنة برجوازية وكجسر يربطه مع الغرب المتقدم لا مع العالم الثالث، فيما «يدعي» الالتزام بالتراث أحيانا. وتكاد تحار كيف يلتزم البعض بالتراث ولا يجيد استعمال «أم التراث العربي»؛ اللغة العربية. ولذلك لا تملك إلا الإعجاب بحسن فتحي كشيخ للمعماريين العرب إذ تذوق الشعر العربي إبتداء. يذكر كاتب هذه السطور في سنوات العمل مع مكية، منذ العام ١٩٩٧ – ٢٠٠٠، أنه كان يتذوق الحروفية العربية ونواح متعددة من التراث العربي وكان أول من دعا لتأسيس جامعة الكوفة التي لم تر النور فأطلق الإسم ذاته على معرضه بلندن والذي يعقد الجلسات الثقافية أسبوعيا كل يوم أربعاء لتشجيع الإبداعات من الشعر والنثر والخطابة ومختلف صنوف التراث والفن العربي، وكانت مفتوحة مجانا للعامة حتى صيف العام ٢٠٠٦ بجوار «دار الساقي» بلندن.

أحد عوامل المشكلة هو عدم وجود وسائط متخصصة للإعلام المعماري العربي. فبخلاف عدد محدود قد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، لا تكاد تجد في العالم العربي مجلات رائدة متخصصة ورصينة. وليست هناك دار نشر عربية واحدة تعنى بالنشر العمراني الفاعل والمتخصص بالكتب المعمارية أسوة بدور النشر العالمية التي تعنى بالفن والعمارة وبتخصص. وليست هناك مساحة ولو ضئيلة في إحدى القنوات الفضائية العربية، والتي لا تكاد تحصى لكثرتها والمتخصصة في السياسة والثقافة والترفيه، وبحيث تكرس جهودها للتعريف بالعمارة العربية وروادها أو الإهتمام ببعض مظاهرها الثقافية وأصولها كالتراث وبدائع العمارة التي سادت في الفترات الإسلامية كإرث ينبغي المحافظة عليه. كل ما يسود في الساحة العربية وللأسف هو مشاريع «استثمارية» هدفها المردود المادي، أولا وآخرا، مع غياب الدعم الحكوماتي أو المؤسساتي أو الخاص لمثل هذه المشاريع الفكرية التي ترفد الساحة الفكرية المعمارية وتعطيها ما تستحقه من الاهتمام في مساحة الإعلام العربي المعاصر.

ونقد أي عمل معماري لمصمم آخر بالشئ المباشر لا يمكن تنفيذه ببسر وسهولة، لما يتضمن ذلك من تجريح «بعمل» الآخرين، والذي يعتبر في العرف المعماري ولدى البعض كائنا عضويا يمثل شخص المعماري أحيانا. ملازمتي لراسم بدران وعملي معه قدما لي نموذجا رائدا في التواضع المعماري والحساسية في تناول عمل الآخرين بالقدح والذم مهما كان مستوى العمل المعماري خلافا لبعض زملاء المهنة ممن كان يعمل قدحا ونقدا في عمل الآخرين بطريقة أبسط ما يمكن وصفها بأنها «فجّة». راسم بدران كان تواضعه يمنعه من النقد المباشر لعمل الآخرين بل تقديم البديل بطريقة ذكية تمكن من المقارنة ودون الحاجة للطعن والتجريح بالعمل أو بصاحبه من قريب أو بعيد. وهذا ليس معناه بحال عدم جواز النقد المعماري، بل على العكس فالنقد البناء هو الطريق الوحيد لتطوير العمل. إنما المقصود أن للنقد المعماري أصول موضوعية. لكن النقد المعماري لا ينبغي أن يكون حائلا دون الإبداع وتقديم البدائل اللامتناهية التي تعنيها عملية التصميم الواعية.

وفي إطار النقد المعماري «غير الناضج»، ثمة نماذج تخلو من أبسط قواعد المنطق، فضلا القصور عن إدراك الآلية التي تتم بها عملية التصميم المعماري ومدى العلاقة اللصيقة بين العمل المعماري وصاحبه. ففي معاهد العلم والجامعات في العالم العربي، جرت العادة – وباستثناء القلة القليلة من اللامعين في النقد المعماري- أن ينظر المقيمون للعمل باعتبارات سطحية شكلية تراعي العمل المقدم كناتج وليس كآلية. ولذا تسود احيانا في أوساط بعض طلاب العمارة «خبرات متناقلة» بين المراحل العليا يتم توريثها لطلبة السنوات الأولى في أقسام العمارة حول طبيعة المدرسين ونظرتهم لتقييم الأعمال المعمارية كناتج وليس «كآلية وناتج معا».

هذه «النمذجة» في بعض المعاهد الأكاديمية في العالم العربي كانت وللأسف مسؤولة عن تقييم الأعمال المعمارية لطلبة العمارة ومن خيرة العقول العلمية التي أنتجها العالم العربي – لكنها «اندثرت» طيلة سنوات الدراسة تحت أرتال البيروقراطية والعقم المعماري الأكاديمي وانعدام المسؤولية وقلة الكفاءة التدريسية. ويطلع عليك احدهم بعدئذ متسائلا عن إشكاليات التقدم والتطور في بعض المعاهد في العالم العربي العزيز بالرغم من أن الطلبة والطالبات من أنبغ العقليات والكفاءات العلمية تحصيلا وذكاء قبل مرحلة الجامعة؟ تساؤل برسم البحث.

مراجع المقال

انتقد محمد أركون المعماريين في عدم قدرتهم على التعبير البياني الأدبي في مداخلته في الندوة التي عقدت في جاكارتا عام ١٩٩٠، أنظر (Arkoun, Mohammed, 'Islam and Modernity – Islamic Culturesm developing Societies, Modern Thought', in 'Expressions of Islam in Buildings', the proceedings of the international seminar held in Jakarta – Indonesia ١٥، October ١٩ – ١٩٩٠, Aga Khan Award for Islamic Architeture Publication).